

# شَرْحِ كِتَابِ (القواعد الأربع)

شرح الشيخ

د. سامي صالح الواكد

samialwaked560@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) (١).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) (٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (٣).

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ الْإِعْلَانَ عَنْ كِتَابٍ صَغِيرٍ، وَهُوَ كِتَابُ **(القواعد الأربع)**، لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهَذَا الْكِتَابُ كِتَابٌ قِيمٌ نَافِعٌ عَلَى صَغَرِ حَجْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ وَجَمُّ الْمَنَافِعِ، وَقَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ بِالْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الْمَخْتَصَرِ، أُرِيدُ أَنْ أَنْوِّهَ لِأُمُورٍ.

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠-٧١].

**الأمر الأول:** أن طلب العلم عبادة، والله تعالى أمر به، وأمر نبيه **صلى الله عليه وسلم** أن يسأل الزيادة من العلم، فقال: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** (١)، ولا يعلم أنه جاء في كتاب الله **عز وجل**، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** أمر بطلب الزيادة من شيء، كما أمر بطلب الزيادة من العلم، أمر بأن يطلب الزيادة في العلم.

فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** (٢)، ولم يأت أنه طلب الزيادة من المال، أو الجاه أو الأولاد أو ما أشبه ذلك، بل لم يطلب الزيادة **صلى الله عليه وسلم** إلا من العلم، وهذا دليل على شرف العلم،

**العلم أشرف مطلوبٍ وطالبه**      **الله أشرف من يمشي على قدم**

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قرن بشهادته وشهادة الملائكة شهادة أولي العلم فقال: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (٣)، هذه الآية في سورة آل عمران أخذ منها الحافظ ابن القيم **رحمه الله**، مائة وخمسين فائدة على تفضيل أهل العلم على غيرهم، في كتابه القيم (مفتاح دار السعادة)، أخذ منها مائة وخمسين فائدة على تفضيل أهل العلم على غيرهم.

**والعلماء كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم:** ورثة الأنبياء، **«والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم»** (٤)، كذلك أيضاً قال النبي **صلى الله عليه وسلم:** **«طَلَبُ**

(١) [سورة طه: آية ١١٤].

(٢) [سورة طه: آية ١١٤].

(٣) [سورة آل عمران: آية ١٨].

(٤) أخرجه أبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه: المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ٦٨).

العِلْمُ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الحديث أخرجه ابن عدي، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما رواه الحاكم في المستدرک وغيره

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْهُمَا مَنْ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>، أَسْأَلُ الله أن يجعلنا وإِيَّاكُمْ من طلبة العلم، المنهوم هو الَّذِي يَطْلُبُ الشَّيْءَ بِنَهْمٍ، فَطَالِبُ العِلْمِ؛ لَا يَشْبَعُ مِنْ طَلْبِ العِلْمِ، وَطَالِبُ الدُّنْيَا؛ أَيْضًا لَا يَشْبَعُ، وَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصَّالِحُ، مَا دَامَ أَنَّ العِلْمَ فَرِيضَةٌ وَعِبَادَةٌ، وَنَبِينَا وَرَوَى عَن نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعَوْا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هِيَ رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ»<sup>(٣)</sup>.

يقول شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: (وطلب العلم من ذكر الله عَزَّجَلَّ)، وَلِذَلِكَ؛ الإِنْسَانُ مَحْتَاجٌ فِي عِبَادَتِهِ إِلَى العِلْمِ، وَمَحْتَاجٌ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى العِلْمِ، وَمَحْتَاجٌ فِي تَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ إِلَى العِلْمِ، وَمَحْتَاجٌ فِي جِهَادِهِ إِلَى العِلْمِ، وَلِذَلِكَ؛ يَقُولُ فِي قَوَاعِدِهِ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: (الصَّالِحُ وَالإِصْلَاحُ مَحْصُورَانِ فِي العِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)

ويقول رَحِمَهُ اللهُ: (من دعا إلى الله بغير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح)، والله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾<sup>(٤)</sup>. فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عَلَى بَصِيرَةٍ عَلَى عِلْمٍ، وَلَيْسَتْ عَلَى جَهْلٍ.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤)، من حديث أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩١٣).

(٢) أخرجه البزار (٤٨٨٠) من حديث ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسييح باليد (٣٥١٠)، من حديث أنس، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٩٩).

(٤) [سورة يوسف: آية ١٠٨].

أخيراً في هذه الفائدة، أقول: أذكر نفسي وإياكم بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما أخرجه الإمام أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَبَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ»، رواه أبو داود بإسناد صحيح<sup>(١)</sup>، لم يجد عرف الجنة، أي رائحتها.

**وَالْمَقْصُودُ؛** أَنَّهُ إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِيبَ بِهِ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَالْعَرْضُ هُوَ مَا يَزُولُ قَرِيبًا، هَذَا لَا يَجِدُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ جَعَلَ الدِّينَ وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا، وَالْوَاجِبُ؛ أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْلِمُ الدُّنْيَا وَسِيلَةً لِلدِّينِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ، لَا أَنْ يَجْعَلَ الدِّينَ وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا، يَتَكَسَّبُ بِدِينِهِ وَبِاسْتِقَامَتِهِ، وَيَبْحَثُ عَنِ الشَّرَفِ لِدِينِهِ، تَنْهَوُا لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ الْإِخْلَاصَ فِي (القول والعلم والعمل).

**ثانيًا: المسجد وما أدراك ما المسجد،** اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ مَجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) ﴿الآيَاتِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَبْعَةٌ يَظْلُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم رجل قلبه معلق بالمساجد والحديث صحيح<sup>(٣)</sup>، وجاء أيضًا عند أبي داود،

(١) أخرجه أبو داود: كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله (٣٦٦٤)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٢)، من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

(٢) [سورة النور: آية ٣٦-٣٧].

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش (٦٨٠٦)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة.

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ**»<sup>(١)</sup>، فعودًا عَلَيَّ بدأ أيها الأحبة، أننا نلاحظ عَلَيَّ كثير من الصالحين يحبون الاجتماعات، ويحرصون عَلَيَّ اللقاءات في أي مكان إِلَّا في الْمَسَاجِدَ لطلب العلم، بالرغم من أن المسجد بيت كل تقي، كما قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لو دعوت أناسًا لاستراحة من الاستراحات، لجاءك العشرات والأفواج، بينما الدروس والمحاضرات وحلق الذكر وحلق العلم، عموماً لا يحضرها إِلَّا النزر اليسير من الحريصين عَلَيَّ العلم وَالتَّعَلُّمَ، فتنبهوا - أَيُّهَا الْأَحِبَّةَ - في الله.

الآن آن الأوان أن نبدأ بالمتن، وقبل ذلك نَقُولُ عن شَيْخِ الْإِسْلَامِ نبذة موجزة، شَيْخِ الْإِسْلَامِ المعروف مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب التميمي، العالم الرباني نحسبه والله حسيبه، المجدد الَّذِي طلب العلم في بداية حياته، ثُمَّ بدأ بالدعوة المبنية عَلَيَّ كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد عانى ما عان ولاقى ما لاقى رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيَّهِ، في سبيل الدعوة إِلَى اللَّهِ وَإِلَىٰ نَشْرِ التَّوْحِيدِ؛ لأن في زمان الْمُؤَلَّفِ، انتشرت كثير من البدع والشركيات، التبرك بالأشجار والأحجار، دعاء الموتى والاستغاثة بِهِمْ، الذبح لغير الله، النذر لغير الله، إِلَىٰ غير ذلك مِمَّا يناقض أصل التوحيد ويناقض أصل الْإِسْلَامِ.

فقام هَذَا الْمُؤَلَّفِ رَحْمَةً اللَّهِ بالدعوة، واجتهد أيما اجتهاد رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيَّهِ، وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً، وَلَا بُدَّ لأهل العلم والإيمان والدعوة، أن يلاقوا الابتلاءات، فَهَذَا الطريق أعني طريق العلم والدعوة، طريق مليءٌ بالعقبات، ومليءٌ بالأمر العظام والصعاب، ولو كان ممهداً مفروشاً لكل أحد لسلكه كل أَحَدٌ.

(١) أخرجه معمر في «الجامع» (٢٠٠٢٩)، والبزار (٢٥٤٦)، حديث أبي الدرداء، وقواه الألباني في «الصحيحة» (٧١٦).

وَلِذَلِكَ؛ جاء في الصحيحين قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، وهذا لفظ البخاري<sup>(١)</sup>، ولفظ مسلم: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»<sup>(٢)</sup>؛ فبدأ دعوته رَحْمَةً لِلَّهِ، ونفع الله بها نفعًا عظيمًا، ولكن يوجد كثير من المناوئين لدعوة شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب رَحْمَةً لِلَّهِ، نأووه وناصبوه العداة، وحاربوه حربًا عظيمة في كثير من بقاع الأرض، ولكن الله تَعَالَى ثَبَّتَهُ.

والله تَعَالَى يقول: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا ليس بغريب، أن الله تَعَالَى ينصر واحد على أمة من الأمم، كلكم تعلمون قصة هود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ماذا قَالَ له قومه وهم عاد؟ من أعتى الأمم، ومن أقواها ومن أشدها بطشًا، قالوا لهود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ الْهَيْئَةِ بَسُوءٍ قَالَتْ إِنِّي أُنذِرُكُمْ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup> مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها الأُمَّة لا يأتيني واحد، بل كيدوني جميعًا أوقعوا في جميعًا، ابدلوا كل جهدكم من أجل الإيقاع بي، ولكنكم لن تستطيعوا لذلك سبيلًا، لماذا؟ لأنني تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ اعتمدت على الله، صدقت في اعتمادي عليه سُبْحَانَهُ وفوضت أمري إليه، فلا يجلب المنافع إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، ولا يدفع المضار إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٣) من حديث أنس بن مالك.

(٣) [سورة آل عمران: آية ١٦٠].

(٤) [سورة هود: الآيات ٥٤-٥٦].

**لاحظ:** ﴿مَأْمِنٌ دَابَّةً إِلَّا هُوَ أَخَذُ بِنَاصِيئِهَا﴾<sup>(١)</sup>، الناصية مقدمة الرأس؛ هي مقدمة الرأس، لا يمكن أن يرسلني إليكم أدعوكم إلى توحيد، ثم يسلمكم عليّ هذا لا يمكن في عدل الله عزَّوجلَّ، وفي نصر الله لأنبيائه ورسله عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما استطاعوا الإيقاع به حتّى أهلكهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ وخاصة الكفار منها، طيب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، لَمَّا اعتمد على الله وتوكل على الله، ما استطاع أحد أن يمسه بضرر، وإن كانوا قد آذوه إلا أنه ثبت رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَشْرِ التَّوْحِيدِ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

**والعجب كل العجب**، ليس من وقوع المكائد في زمنه رَحِمَهُ اللهُ، وليس من وقوع الحرب والصد عن دين الله في زمن المؤلّف رَحِمَهُ اللهُ؛ لأن الناس كانوا غارقين في الجهل، وهو قد جاءهم بالتوحيد وهم لا يعلمون معنى التوحيد إلا النزر اليسير، لكن العجيب والغريب أنه في زمننا هذا، نعم في وقتنا هذا يوجد من بعض الصالحين من يطعن في دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، بل واستغربت من بعضهم أنه يردد الشبه، التي كان يلقيها أهل الشرك في زمان الشيخ وكان يرد عليها الشيخ.

فيأتي هذا الجاهل نصف المتعلم، يأتي ينتقد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وهذا الشخص ربما لو سأله كيف يقرأ الفاتحة لم يحسن قراءتها، ولو سأله عن معنى التوحيد بذاته لما عرف تعريف التوحيد، وهذه مصيبة عظيمة انتبهوا أيها الأخوة.

ولذلك ماذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا قَبِضَ الْعُلَمَاءُ، أَخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا

(١) [سورة هود: آية ٥٦]

جهالاً، فَسْئَلُوا فَأَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، وَهَذَا فِي الصَّحِيحِ<sup>(١)</sup>، وَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «مَنْ سَأَلَ فَأَفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيَّ مَنْ أَفْتَاهُ»<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ، لَا أَقُولُ يَحْتَاجُ إِلَيَّ مُحَاضِرَةٌ أَوْ إِلَيَّ دَرَسٌ عِلْمِي أَوْ دَوْرَةٌ عِلْمِيَّةٌ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَيَّ تَأْسِيسٌ وَتَأْصِيلٌ مِنْهُجٌ، مِنْهُجٌ عِلْمِي حَتَّى لَا يَتَجَرَّأُ النَّاسُ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْكَلَامَ فِي دِينِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلِكُمُ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ نَبْتَدِئُ الْآنَ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّعْلِيقِ عَلَيَّ هَذَا الْمَتْنِ، وَهُوَ مَتْنُ (القواعد الأربع)، هَذِهِ قَوَاعِدُ أَرْبَعٍ وَالْقَوَاعِدُ جَمْعُ قَاعِدَةٍ، وَالْقَاعِدَةُ؛ مَعْنَاهَا الْأَسَاسُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، قَوَاعِدُ الْبَيْتِ هِيَ أَسَاسُ الْبَيْتِ، الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا الْأَعْمَدَةُ وَتُبْنَى عَلَيْهَا جُدْرَانُ الْبَيْتِ، هَذَا مَعْنَى الْقَوَاعِدِ، الْمُؤَلَّفُ بِدَأْ كِتَابَهُ بِقَوْلِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَبَدَأَهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا اتِّسَاءٌ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ، حَيْثُ أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَهَلِ الْبِسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ؟ الْجَوَابُ: لَا؛ وَهَلِ الْبِسْمَلَةُ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَهَلِ الْبِسْمَلَةُ فَوَاصِلٌ لِلسُّورِ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ فَوَاصِلٌ لِلسُّورِ.

وَهَلِ جَاءَتْ الْبِسْمَلَةُ جُزْءٌ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، جَاءَتْ فِي سُورَةِ النَّمْلِ، الدَّلِيلُ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>، وَأَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ كَيْفَ يَقْبُضُ الْعِلْمَ (١٠٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفَتَنِ (٢٦٧٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ التَّوْقِي فِي الْفِتْيَا (٣٦٥٧)، وَابْنُ مَاجَهَ: الْمَقْدِمَةُ، بَابُ اجْتِنَابِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ (٥٣)، وَحُسْنَةُ الْأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٠٦٨).

(٣) [سورة النمل: آية ٣٠].

الدليل على أنها ليست آيةً من الفاتحة، فهو قوله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** في الحديث القدسي: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدُنِي عَبْدِي، إِذَا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، والحديث رواه الإمام مسلم وأهل السنن عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا الدليل على أنها ليست من آيات السور، بل هي فواصل، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ الْمِرَّةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ، إِلَيَّ أَنْ قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَائِكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي ﴿٣﴾ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

طيب؛ لم يذكر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا هِيَ مِنَ الْفَوَاصِلِ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْآيَاتِ، فَتَنْبَهُوا هَذَا بِإِيجَازِ وَالْمَسْأَلَةِ طَوِيلَةً.

**ثانيًا: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يبدأ مراسلاته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَمَّا أُرْسِلَ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، فبدأها هُنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَهَذَا فِي الصَّحِيحِينَ<sup>(٣)</sup>، وَكَذَلِكَ أَيْضًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَذَا جَاءَ فِي صِلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) [سورة العلق: الايات ١-٥].

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل (١٧٧٣) من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الله هو أعرف المعارف»، بسم الله أي ابتدائي بِسْمِ  
الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أبدأ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هنا فعل مقدر تقديره أكتب  
أو أولف مستعيناً متبركاً بالله الرحمن الرحيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، الله أعرف المعارف،  
وهو مشتق من الألوهية في أصح قولي العلماء، من المألوه وهو المعبود محبة  
وتعظيمًا وذلًا وإجلالًا وخشيَةً، «الرَّحْمَنِ»، من أسماء الله الحسنى، يُؤخذ منه  
صفة الرحمة، أي رحمة؟

الرحمة الَّتِي هي صفته **سُبْحَانَهُ**، الرحيم من أسماء الله الحسنى يُؤخذ منه صفة  
الرحمة، أي رحمة هي؟ المتعدية للمخلوق، قَالَ بعض أهل الْعِلْمِ: «الرَّحْمَنِ»،  
الرحمة العامة بالمؤمنين وبالكافرين وبالمخلوقات، وَأَمَّا الرحيم يُؤخذ منه  
الرحمة الْخَاصَّةُ، بمن؟ قَالَ: بالمؤمنين، ما الدليل؟ قَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا  
﴿٦٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>﴾، هذا استدلووا.

وَالصَّوَابُ؛ ما ذكرت لكم أَنفَاءً أن الرحمن يأخذ منه صفة الرحمة، اللازمة  
له **سُبْحَانَهُ**، وَأَمَّا الرحيم فيؤخذ من صفة الرَّحْمَةِ المتعدية للخلق، أَمَّا بخصوص  
المؤمنين، فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(٦٦)</sup>﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَحِيمًا﴾<sup>(٤٣)</sup>﴾<sup>(٤)</sup>، وَأَمَّا بالنسبة لعموم الناس، فقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ  
رَحِيمٌ﴾<sup>(١٤٣)</sup>﴾<sup>(٥)</sup>، جاء في آيتين من القرآن الكريم، في البقرة وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ

(١) [سورة الإسراء: آية ٦٦].

(٢) [سورة الأحزاب: آية ٤٣].

(٣) [سورة الإسراء: آية ٦٦].

(٤) [سورة الأحزاب: آية ٤٣].

(٥) [سورة البقرة: آية ١٤٣].

اللَّهُ بِالنَّاسِ لَزُؤْفٍ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾<sup>(١)</sup>، هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ كَمَا رَجَّحَهُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوْلَاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، هَذِهِ دَعْوَةٌ مِنَ الْمَوْلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهَذِهِ عَادَتُهُ أَنْ يَدْعُو لِلطَّالِبِ وَلِلْقَارِئِ الَّذِي يَطْلُبُ الْعِلْمَ، أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ نَعْمَ مِنْ كَرَمِهِ، أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ كَرَمَهُ أَنْ أَمْتَنَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَرَمَهُ أَنْ مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْيِينَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَتُوفَانَا عَلَيْهِ، «أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»؛ نَعْمَ الْعَرْشُ هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ عَلَيَّ الْإِطْلَاقِ طَيِّبٍ، أَمَّا فِي اللُّغَةِ فَهُوَ سُرِيرُ الْمَلِكِ، «الْعَظِيمِ» هَذَا الْعَرْشُ وَصِفَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، وَبِأَنَّهُ مُجِيدٌ، وَبِأَنَّهُ كَرِيمٌ، «أَنْ يَتَوْلَاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

أَيُّ أَنْ يَكُونَ رَبَّنَا عَزَّجَلَّ مُتَوَلِيَّ أُمُورِكَ، فَيُوفِقُكَ لِلْخَيْرِ وَيُرْشِدُكَ إِلَيْهِ، وَيَهْدِيكَ إِلَيْهِ هِدَايَةَ دَلَالَةٍ، وَهِدَايَةَ تَوْفِيقٍ وَإِلْهَامٍ، وَيُدْفَعُ عَنْكَ الْمَضَارَّ، وَيَجْلِبُ إِلَيْكَ الْمَنَافِعَ، فَتَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، هُوَ لَاءِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ.

**الدليل:** ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ<sup>(١٣)</sup> ﴿٢﴾، اللَّهُ يَجْعَلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ، مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِيًّا، قَالَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، نَعْمَ طَيِّبٌ يَتَوْلَاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، يَقُولُ قَائِلٌ: هَلْ هُنَاكَ وَلِيٌّ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؟

(١) [سورة البقرة: آية ١٤٣].

(٢) [سورة يونس: آية ٦٣].

**نقول:** الولاية تنقسم إلى قسمين، إن كنت تقصد الولاية العامة، بأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي خلق المخلوقات، هو الذي يدبّر أمورها، هو الذي يصرفها، هو الذي يرزقها، هو الذي يبعثها، هو الذي يحاسبها، الجواب: لا ولي إلا الله.

**الدليل:** ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، هناك موالى، هناك أولياء، لكنهم أولياء باطلون طيب؛ أمّا إن كنت تقصد الولاية الخاصة، وهي التولي أي يتولاك الله تعالى بلطفه وعفوه وتوفيقه وهدايته ونصره، فهذه خاصة بالمؤمنين.

**الدليل:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ثانياً: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾<sup>(٣)</sup>.

**تلاحظون هذا؟** ففرقوا بين هذا وهذا، يتولاك في الدنيا والآخرة، وما أسعد من تولاه الله تعالى في الدنيا والآخرة، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، هذا مأخوذ من قول الله **عَزَّجَلَّ** مخبراً عن عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(٥)</sup>، أينما كنت يدعو لك المؤلف **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وقد مضى عليه قرون، يدعو لك بأن تكون مباركاً أينما كنت، وأي بركة أعظم من بركة العلم والعمل، والدعوة إلى العلم والعمل، طيب أينما كنت، البركة معناها الخير

(١) [سورة الأنعام: آية ٦٢].

(٢) [سورة محمد: آية ١١].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٥٧].

(٤) [سورة مريم: آية ٣١].

(٥) [سورة مريم: الايتان ٣٠-٣١].

الكثير المستمر الدائم، الخير كثير المستمر الدائم الذي لا ينقطع، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر.

إذا أعطاك الله تعالى شكرت، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وإذا ابتلي صبر، إذا ابتلاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصْبِر، فلا يجزع ولا يقنط ولا ييأس، بل يتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وَلِذَلِكَ؛ ذُكِرَ الصَّبْرُ فِي قِرَابَةِ تَسْعِينَ مَوْضِعًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

### ✽ والصبْر أنواعه ثلاثة:

\* صبرٌ عَلَى طاعة الله وَهَذَا أَفْضَلُهَا وَأَعْظَمُهَا.

\* وَصَبْرٌ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

\* وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلَّمَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»، والحديث أخرجه الإمام أحمد وغيره<sup>(٣)</sup>، وإذا أذنب استغفر، إذا وقع في الذنب والذنب مرادف للمعصية، والمعصية مرادفة للذنب، إذا أذنب استغفر إذا وقع في الذنب استغفر الله، يَعْنِي يَطْلُبُ مَغْفِرَةَ اللَّهِ، وَالْمَغْفِرَةُ هِيَ السِّتْرُ لِلذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ، السِّتْرُ لِلذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ، فَكَلَّمَا أَذْنَبَ الْمُسْلِمَ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَغْفِرَ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْفَوْرِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِ.

(١) [سورة إبراهيم: آية ٧].

(٢) [سورة الزمر: آية ١٠].

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١)، من حديث أنس، ولم أقف عليه في «المسند»، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٠).

فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة، هذه هي عنوان السعادة، أي السعادة؟

سعادة الدنيا والآخرة، أن يكون الإنسان إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر، فهذا الإنسان بإذن الله وفق لسعادة الدنيا والآخرة، إذا من الله تعالى عليه بالثبات، ومن الشكر تسخير الجوارح في طاعة الله سبحانه، هذا من شكر الله عزَّجَلَّ.

فإذا امتن الله تعالى عليك بالنعمة، فاحمده واشكره عليها، كذلك أيضاً إذا شكرت الله تعالى وحمدته على هذه النعمة، فاعلم أن هذا الشكر والحمد نعمة وشكر، نعمة تحتاج إلى شكرٍ آخر، والثالث إلى الرابع والرابع إلى خامس، ولن ينتهي ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله:

(إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليَّ له في مثلها يجب الشكر)  
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله  
إذا مسَّ بالسراء عمَّ سرورها  
وما منهما إلا له فيه منةٌ  
وإن طالت الأيام واتصل العمر  
وإن مسَّ بالضراء أعقبها الأجر  
يضيق بها الوهم والبر والبحر)

فاحمد الله واشكر الله عزَّجَلَّ على أن جعلك من الحامدين الشاكرين.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله، تملأ الميزان»، بماذا تملأ الميزان؟ تملأه حسنات، رواه مسلم<sup>(١)</sup>، وروي عنه صلى الله عليه وسلم بسند فيه ضعف رواه ابن حبان وغيره «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء»، أيش؟ «الحمد»

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشجعي.

لِلَّهِ»<sup>(١)</sup>، أي دعاء هَذَا؟ دعاء الْعِبَادَةِ أو دعاء الْمَسْأَلَةِ، دعاء الْعِبَادَةِ، لأن الدعاء ينقسم إِلَى قِسْمَيْنِ وهما :

**دعاء عِبَادَةٍ**، وهو سائر الْعِبَادَاتِ، والمسألة أن تسأل الله تَعَالَى من خيري الدنيا والآخرة، وأن تسأله أن يدفع عنك شرور الدنيا والآخرة،

**قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:** (اعلم أرشدك الله لطاعته)، اعلم يريد منك أن تتعلم، وأن تطلب العلم، والعلم لا يُؤخذ بالأحلام ولا الأقيسة يَعْنِي جمع قياس، ولا يُؤخذ العلم بالظن والخرص.

**بل العلم كما قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ:** (معرفة الهدى بدليله، ما ذاك والتقليد يستويان)، ويقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ كما في (الفوائد)، هو نقل الصورة من الخارج وإثباتها في النَّفْسِ، هَذَا هو العلم، فالمؤلَّف رحمه الله يطلب منك قائلاً: «اعلم، أرشدك الله لطاعته،

وكذلك لا يُؤخذ العلم من الرؤى والأحلام؛ الرؤى الصالحة تسرُّ المؤمن ولا تغره، لَكِنْ لا أَعْتَمِد عليها في حكم شَرْعِيٍّ عند أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فلا يُؤخذ منها حكم شرعي ولا يُحرِّم بها أمر مباح.

لأن بعض الناس يعتقد أن الرؤية إذا جاءت، أنها يجب أن تتحقق ويجب أن يعمل بها، ولو كان ظاهرها باطلاً أو كانت تأمر بالباطل، وَهَذَا لَعَلَّهُ يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، بتوسع أكثر من ذلك، أحدهم اليوم يسألني يَقُول: أشك في قريبي بأنه

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٣٣٨٣)، وابن ماجه: باب الأدب، باب فضل الحامدين (٣٨٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦)، من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٤).

كان مديناً غارماً ورأيت فيه رؤيا، وسألت عابر الرؤى وأجابني، فأنا الآن أريد أن أبرئ ذمته من هذا الدّين؛ لأنه الآن يعذب في قبره!

ما رأيكم هل يصح هذا الكلام؟ ما يصح، لماذا لا يصح؟ كيف جزم الآن بعلم الغيب بأن هذا الرجل يُعذب في قبره؟

**ثانياً:** هذه إساءة ظن بالمسلمين.

**ثالثاً:** ما عندك يقين بدليل من كتاب الله ولا من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**رابعاً:** نعم.

**الطالب:** وصية.

**الشيخ:** أيش؟

**الطالب:** وصية.

**الشيخ:** هو الآن يقول رأيته في رؤيا.

**الطالب:** يوصي الميت.

**الشيخ:** يوصي الميت بماذا؟ أي هذا واجب الوصية واجبة، حتّى الذي ليس عليه دين، الوصية واجبة في أصح قولي العلماء، لمن له شيء يوصي به، حتّى لو ما كان عليه دين، الدين أقول: يجب سداده، وهو يمنع من دخول الجنّة، ولو مات الإنسان شهيداً في سبيل الله، يمنعه من دخول الجنة الدين ما نختلف في هذا، لكن كونك تنزل حكماً، من أحكام الغيب وهو في البرزخ الآن بمجرد رؤيا، ما يجوز هذا، ما يصح هذا أبداً.

طالب: ...

**الشيخ:** عهد أبي بكر وقصة ثابت بن قيس بن شماس أنه أوصى، هذه أولاً الذي رآها بعض أهله، ولم يحكموا بالرؤيا، لم يحكموا بالرؤيا، بل تتبعوا فوجدوا أن الرؤيا حق على الواقع أرض الواقع.

**ثالثاً:** لم يجزم أحد منهم، بأن ثابت بن قيس يُعذَّب لا قدر الله، ما حكموا عليه، ولكنَّ تتبعوا فيستأنس بها لا بأس، لكنَّ لا يُؤخذ منها حكم شرعي، ولذلك؛ هو مباح، إذا رأى الإنسان كأن رجلاً عليه دين، أو قد مات وكان عليه ديناً أو يوصي بأن يُقضى دينه، لا بأس أن نبحث لا بأس، ولا بأس أن نتصدق عنه لا نعترض على هذا، لكنَّ لا نجزم بأنه يُعذَّب ولا نجزم بأحوالهم؛ ولذلك في عقيدة أهل السنة والجماعة، لا نشهد لمؤمن بأنه في جنة أو نار إلا من شهد له الله أو رسوله **صلى الله عليه وسلم**.

أمَّا الرؤى لا، تقول: أنا والله رأيت جدي بأنه في الجنة، وقال: إنني في الجنة تجزم بها؟ لا تجزم بها، نعم تسرَّ المؤمن لكنَّ لا تغره ولا يعتمد عليها، طيب،، **قال رحمه الله:** «أرشدك الله لطاعته»، أرشدك مأخوذة من الرشد أو الرشاد أو

الرشد،

نعم من الرشد.

**الدليل:** ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup>، وجواب آخر، مأخوذة من الرشد، وهي في القرآن الكريم: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٢)</sup>، وأيضاً مأخوذة من

(١) [سورة البقرة: آية ٢٥٦].

(٢) [سورة غافر: آية ٣٨].

الرشد: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١).

وَمَعْنَى؛ (الرشد والرشاد والرشد معنًا واحدٌ، وهو الاستقامة)، أرشدك الله لطاعته، جعلك مستقيمًا على طاعته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، «أن الحنيفية ملة إبراهيم»، الحنيفية هي الملة الحنيفية يعني التي مالت عن جميع الملل والأديان إلى ملة التوحيد، توحيد رب العالمين **عَزَّجَلَّ**: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢)، أن تعبد الله.

طبعًا إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** انحدرت سلالته إلى نبيين رسولين، (إسحاق وإسماعيل)، إسحاق انحدرت من ذريته بنو إسرائيل، وإسماعيل انحدر من ذريته العرب، ومنهم نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين أن تعبد الله، العبادة قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة).

هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْعَمَلِ نَفْسَهُ وَالْقَوْلِ نَفْسَهُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَا يَقُومُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ؛ فَإِنَّ ابْنَ الْقَيْمِ **رَحْمَةُ اللَّهِ** يَقُولُ:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ      مَعَ ذَلِكَ عَابِدُهُ هُمَا قُطْبَانِ  
وَعَلَيْهِمَا فَلَكَ الْعِبَادَةُ دَائِرٌ      مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ  
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ      لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وملة إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قد أمر نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** باتباعها، وإبراهيم كما قال الله تعالى عنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ

(١) [سورة الجن: آية ١٠]

(٢) [سورة النحل: آية ١٢٣].

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾<sup>(١)</sup>، أن تعبد الله مخلصاً له الدين، أن تصرف العبادة لله تعالى وتخلص له الدين، كل ما تدين لله تعالى به من قولٍ أو عملٍ؛ فانه يكون خالصاً لله عزَّ وجلَّ، والله تعالى لا يقبل من العبادة ومن العمل، إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، الله سبحانه ما خلق الخلق إلا للعبادة، وتعريفُ العبادة كما ذكرت لكم قبل قليل، وبعض العلماء قَالَ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي يوحدوني ويفردوني بالعبادة سبحانه، هذه هي الحكمة والغاية من خلق الجن والإنس.

بدأ بالجن قبل الإنس؛ لأن الجن مخلوقون قبل الإنس: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾<sup>(٣)</sup> و﴿الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادةً إلا مع التوحيد، إذا عرفت أيها المسلم، أن الله خلقك للعبادة، اعلم أن العبادة لا تكون عبادة ولا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، فإذا كانت العبادة فيها شيءٌ من الشرك أو الرياء؛ فإنها لا تُسمى توحيداً ولا تُسمى عبادة، لِمَاذَا؟ لأنه أشرك مع الله غيره.

يقول الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

لِكُلِّ مَا يَرْضَى إِلَاهُ السَّامِعُ  
خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ  
وخشيةٌ إنابةٌ خضوعٌ

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ  
وَفِي الْحَدِيثِ مُحْضَاهَا الدُّعَاءُ  
ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعٌ

(١) [سورة آل عمران: آية ٦٧].

(٢) [سورة الذاريات: آية ٥٦].

(٣) [سورة الحجر: آية ٢٧].

والاستعانة والاستعانة  
والذبح والنذر وغير ذلك  
وصرف بعضها لغير الله  
كذا استغاثة به سُبحَانَهُ  
فافهم هُديت أوضح المسالك  
شركٌ وذاك أقبح المناهي

فتحولت العبادة من عبادةِ إلهي 'شرك بالله عَزَّجَلَّ، فهي لا تُسَمَّى عبادةٍ إِلَّا مع التوحيد، كما أن الصَّلَاةَ لا تُسَمَّى صلاةٍ إِلَّا مع الطَّهَّارَةِ، صحيح لو صَلَّى الإنسان بدون طهارة، فصلاته باطلة لاغية عبث، لماذا لا تُسَمَّى صلاةٍ إِلَّا ومعها طهارة؛ لأن الطهارة شرطٌ للصَّلَاةِ، فإذا دخل الشرك في العبادة، فسدت كالحدث إذا دخل في الطَّهَّارَةِ، ؛ لو قال قائل لَكِنْ هناك أدلة قد تُشكل علينا أو يُشكل علينا فهمها.

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ (١)، فهم يعبدون، طيب هم يعبدون آلهة من دون الله عَزَّجَلَّ، لماذا لا تسمى عبادة؟ نقول:

الجواب عن هذا الإيراد أن العبادة على نوعين:

\* عبادة لغوية.

\* وعبادة شرعية.

أما العبادة اللغوية؛ فهذه كثيرة، أمثلتها في القرآن وفي السنة، مثل في القرآن الكريم قد مر معكم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ (٢)، طيب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ (٣)، كما قال يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، للرجلين المسجونين معه، هذه في اللغة، كذلك قوله

(١) [سورة الأنبياء: آية ٩٨].

(٢) [سورة الأنبياء: آية ٩٨].

(٣) [سورة يوسف: آية ٤٠].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الدِّينَارِ»<sup>(١)</sup>، فهذه عبادة لغوية واضح هُذًا. أمَّا العبادة الشَّرْعِيَّة؛ فلا تطلق إِلَّا عَلَى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، لا تطلق إِلَّا عَلَى عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإفراده بالعبادة هي الْعِبَادَةُ، ومقام العبودية هو أشرف مقام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مقام الرسالة، ولماذا؟ لأن الله امتن عليه في القرآن في صورة الإسراء، فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾<sup>(٢)</sup>، فمقام العبودية مقام عظيم، وهو أعظم مقام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالإضافة إِلَى مقام الرسالة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا عرفت أن الشرك إذا دخل في العبادة أفسدها، وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين»، الشرك يحبط العمل بدلالة القرآن وَالسُّنَّة، القرآن يقول الله سُبْحَانَهُ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول سُبْحَانَهُ لِلأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

لَمَّا امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هؤُلاءِ الرسل في ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾<sup>(٥)</sup>، في سورة الأنعام، ذكر منهم ثمانية عشر نبيًا رسولًا، طيب يقول الشيخ خليل الهراس رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه للواسطية،

«في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشرٍ ويبقى سبعةٌ وهم»،

في تلك حجتنا منهم ثمانية، يَعْنِي الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، من بعد عشرٍ ويبقى سبعةٌ وهم، كم صار نبي الآن في تلك حجتنا؟ ثمانية عشر.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) [سورة الإسراء: آية ١].

(٣) [سورة الزمر: آية ٦٥].

(٤) [سورة الأنعام: آية ٨٨].

(٥) [سورة الأنعام: آية ٨٣].

ويبقى سبعة وهم :

إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم وبالمختار قد ختموا»

في إحدى المرات أقول للإخوة هذه الآيات، قال: هؤلاء الذين ذكرتهم ثمانية!

فقلت أنا ذكرت سبعة في البيتين، قال: بل ثمانية! قلت عددهم.

قال: إدريس وهود وشعيب وصالح، وكذا وذو الكفل وآدم والمختار، المختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأضاف (كذا)، كذا ليس من الأنبياء، كذا هذا عطف، وليس من الأنبياء، إدريس، هود، شعيب، صالح وكذلك ذو الكفل آدم وبالمختار قد ختموا، طيب في تلك حجتنا، الآيات مشهورة عندكم معروفة ثلاث آيات في سورة الأنعام.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا أَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (١).

هؤلاء ثمانية عشر، وأمّا في البيتين اللذين ذكرهما الشيخ خليل رَحِمَهُ اللَّهُ، سبعة فأصبح عدد الأنبياء المرسلين في القرآن الكريم، خمسة وعشرين نبياً رسولاً، إلاّ آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو نبي، نبي، وليس برسول؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك».

(١) [سورة الأنعام: آية ٨٣-٨٦].

الطالب: ...

**الشيخ:** سيأتي إن شاء الله بإذن الله، الكلام فيه أقوال الفرق بين النبي والرسول، لعله يفرق بعد قليل إن شاء الله تعالى، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، يعنى معرفة التوحيد إذا عرف أن الشرك يحبط العمل، الدليل: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَجْزِيََنَّ عَمَلَكَ﴾ (١)، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

**أما في السنة،** فقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»** (٣)، فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، أسأل الله لي ولكم الإخلاص، في القول والعلم والعمل إنه سميع الدُّعاء؛ إذا عرفت هذا الأمر، وهو أن الشرك إذا دخل في العبادة أفسدها، وجب عليك أن تتعلم التوحيد، وأن تعمل بالتوحيد يقول: «لعل الله أن يخلّصك من هذه الشبكة»، يعنى شبكة الشرك بأنواعه، الأكبر والأصغر، وبعضهم يقول: أيضاً الخفي، وابن القيم يقسمه إلى قسمين، والشيخ حافظ الحكمي يقسمه إلى قسمين:

وَالشَّرْكَ نَوْعَانِ: فَشَرْكَ أَكْبَرُ	بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ
وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرِ اللَّهِ	نِدَاءً بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي
يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضَّرِّ	لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ	عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعَ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ	أَوْ الْمُعْظَمِ أَوْ الْمَرْجُوِّ

(١) [سورة الزمر: آية ٦٥].

(٢) [سورة الأنعام: آية ٨٨].

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة.

فِي الْغَيْبِ سُلْطَانًا بِهِ يَطَّلِعُ      عَلَى ضَمِيرٍ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ  
وَالثَّانِي شُرْكَ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَا      فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَاءِ  
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي      كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ

قول: وهي الشرك بالله، الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (١)، نعم الله لا يغفر الشُّرْكَ لماذا؟ حكم الله تَعَالَى بهذا، وربنا عَزَّجَلَّ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢)، فالله لا يغفر الشُّرْكَ أي شرك لا يغفره الله، أمَّا الأكبر فهذا محل إجماعٍ واتفاق لا يغفره الله، الشُّرْكَ الأكبر لا يغفره الله هذا ليس فيه خلاف بين المسلمين، وَلَكِنْ الشُّرْكَ الأصغر، الشُّرْكَ الأصغر فيه خلاف بين العلماء طيب، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسره بالرياء، كما حَدَّثَ بِذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما قَالَ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ»، فسأل عنه فَقَالَ: «الرياء» (٣)، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اختلف فيها أهل العلم، وشيخ الإسلام ابن تيمية له قولان فيه، في موضع قَالَ: لا يُغْفَرُ، وفي موضع قَالَ: تحت المشيئة، طيب؛ والمسألة فيها أخذ ورد بين أهل العلم، والظاهر؛ والله أعلم أنه إن لم يكن في أصول الدين، مثل النفاق يَعْنِي كان يرائي مثلاً بالتوحيد أو يرائي بالصَّلَاةِ في أصل الصلاة، فَهَذَا لَا يُغْفَرُ؛ لأنه ليس بمسلم هَذَا منافق، أمَّا إن كان في الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ، كان يرائي في الصدقات، أو أن يحلف بغير الله عَزَّجَلَّ، لَكِنْ لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ التَّعْظِيمِ، بل

(١) [سورة النساء: آية ٤٨].

(٢) [سورة الأنبياء: آية ٢٣].

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، من حديث محمود بن لبيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»

كما جرت به ألسنة بعض الجاهلين، أن يحلف بأمه أو بأبيه أو بالأمانة وما أشبه ذلك، فالأظهر في هذا أنه داخلٌ تحت المشيئة، إلا أنه بالاتفاق أكبر من الكبائر، الشُّرك الأصغر أكبر من الكبائر.

**قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:** «وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه»، بمعرفة أربعة قواعد، قَوَاعِدٌ، مَا إعرابها في هذا الموضع؟ أربعة قواعد، مضاف إليه الله يفتح عليك يقول مضاف إليه، أبو أسامة يَقُولُ: مضاف إِلَيْهِ، بمعرفة أربعة قواعد، المضاف إليه مجرور أو منصوب أو مرفوع مجرور، طيب هنا يقول المؤلف: «بمعرفة أربعة قواعد»، بالفتح، لماذا؟ لأنه ممنوع من الصرف صحيح، ممنوع من الصرف يُجر بالفتح.

**وَجُرَّ بِالْفَتْحِ مَا لَا يَنْصَرِفُ مَا لَمْ يُضَفْ أَوْ يَكُ بَعْدَ أَلْ رَدِفٍ**

يُجر بالفتحة علامة الجر بالفتحة أحسنت.

طيب ذكرها الله تعالى في كتابه هذه القواعد، وهذه ميزة المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ يستنبط القواعد من كتاب الله، ومن سنة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجب علينا معشر الطلاب بدون استثناء أن نسلك هذه الطريقة، وهي طريقة الدليل.

**والعلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان**

قد يأتيك إنسان ويقول قَالَ اللهُ تَعَالَى وقال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول: والله يا أخي لَكِنَّ هُنَاكَ فِتْيَا تَخَالِفُ هَذَا الْقَوْلَ، لا إِذَا أَتَيْتَكَ بِالْدَّلِيلِ، فواجبٌ عليك أن تردَّ عَلَى استدلالي بالدليل، ولا يجوز لك أن تعارض قول الله تعالى أو قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول أحدٍ من البشر، انتبهوا لهذه المسألة العظيمة.

**القاعدة الأولى:** أن تعلم أن الكفار، الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمَدْبِرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ مُعْتَرِفُونَ، يَعْلَمُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْمَدْبِرُ، وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ تَوْحِيدَ الرَّبُوبِيَّةِ، وَمَعْنَاهُ تَوْحِيدٌ وَإِفْرَادٌ لِلَّهِ بِأَفْعَالِهِ تَعَالَى مِثْلَ (الْخَلْقِ، التَّدْبِيرِ، الْمَلِكِ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ،

لاحظ أنا أحب، وَهَذَا تَعَلَّمْتَهَا مِنْ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنْ يَطْرَحَ الْمَسْأَلَةَ عَلَيَّ طَرِيقَةً أحياناً سؤَالَ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَذْهَبَ الْفِكْرُ وَالذَّهْنُ بَعِيدًا عَنِ الدَّرْسِ، فَتَحْمَلُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَأَعَانِكُمْ اللَّهُ عَلَيَّ، يَقُولُ: ”وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِقْرَارَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، الْمَدْبِرُ، الْمَالِكُ الْمَتَصَرِّفُ“، مَالِكُ الْكَوْنِ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، هَذَا لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَدْخَلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ!

**الدليل:** الْمُؤَلَّفُ يَقُولُ لَكَ: قَاعِدَةٌ ثُمَّ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَهَذَا مِنْ جَمِيلِ فِعْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمْ أَهْلُ الدَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (١)، هَذَا الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْأَلْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، اسْأَلْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدَعْوَتِكَ، مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ (٢)، هَلْ أَشْرَكُوا فِي الرَّبُوبِيَّةِ هُمُ الْآنَ؟ الْجَوَابُ: لَا، ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ﴾ (٣)، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ.

(١) [سورة يونس: آية ٣١].

(٢) [سورة يونس: آية ٣١].

(٣) [سورة يونس: آية ٣١].

أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاءِ وَرِزْقًا مِنَ الْأَرْضِ؛ وَأَنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، **سُبْحَانَ اللَّهِ** كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، مَنْ هُوَ؟ **اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، كَذَلِكَ أَيْضًا هُوَ الَّذِي يَدَّبُرُ الْأَمْرَ بَدُونَ اسْتِثْنَاءٍ، تَقَرُّونَ بِذَلِكَ كُلَّهُ دُونَ شَرِيكَ لَهُ فِي رَبِوَيْتِهِ، فَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقُولُوا: الصَّنَمُ، أَوْ الْوَثْنُ أَوْ الْمَيِّتُ أَوْ الْوَلِيُّ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا مَعَ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، لَا مَا تَقُولُونَ هَذَا.

أَنْتُمْ تَفْرُدُونَ اللَّهَ بِالرَّبُوبِيَّةِ، بِتَصْرِفِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَهَذَا لَا يَنْكُرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ، بَيْنَمَا الْفِطْرَةُ تَدُلُّ عَلَيْهِ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، أَفَرُدُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالرَّبُوبِيَّةِ، فَقَالَ: ﴿فَقُلْ أَفَلَا **تُنْقُونَ** (٣١)﴾ (١)، أَمَا تَتَّقُونَ الشَّرْكَ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَفِي عِبَادِيَّتِهِ **سُبْحَانَهُ**، مَا دَمْتُمْ أَفَرُدْتُمُوهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، لِمَاذَا لَا تَفْرُدُونَهُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ تَفْرُدُوهُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ كَمَا أَفَرُدْتُمُوهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، اتَّضَحَتْ لَكُمْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ أَوْ لَا؟ وَعَلَى هَذَا يَقُولُ قَائِلٌ نَحْنُ لَا نَشْكُ فِي هَذَا، وَنَتَّقِنُ أَنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هُوَ الْخَالِقُ، الْمَالِكُ، الْمُدَبِّرُ، الْمَتَصَرِّفُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إِلَهِيٌّ غَيْرَ ذَلِكَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَقْرُونَ بِتَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ.

وَأَنَّ تَوْحِيدَ الرَّبُوبِيَّةِ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَيْضًا، بَلْ بَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَلْ يَوْجَدُ هَذَا فِي هَذَا الزَّمَانِ؟ أَقُولُ: كَثِيرٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَلْ حَتَّىٰ يَنْطَلِي عَلَىٰ بَعْضِ الْمَوْلِفِينَ فِي التَّفْسِيرِ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٢)، يَقُولُ: لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**.

(١) [سورة يونس: آية ٣١].

(٢) [سورة محمد: آية ١٩].

يوجد هذا حتّى في بعض كتب التفسير الآن الموجودة الآن، يظنون أنه إذا جاء التّوحيّد أو دلالات التوحيد، أنها تدلّ على الربوبية، الربوبية هذا معلوم بالفطرة، معلوم بالضرورة، ولكن الكلام الآن على إفراده بالعبودية **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** دون شريك.

**القاعدة الثانية:** قال **رَحْمَةُ اللَّهِ:** أنهم يقولون: يعنى هؤلاء الكفار، يقولون: ”ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة“، **سُبْحَانَ اللَّهِ** أن تعبدون الأصنام والأوثان، والأموات تتقربون إليهم وتتوجهون إليهم لعله، ما العلة في نظركم؟

**قَالُوا:** لطلب القربة والشفاعة، وذلك أن محبتهم تقربنا إلى الله، فنطلب شفاعتهم، ويتوسطون لنا عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، دليل القربة: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾<sup>(١)</sup>، أمّا الدين غير الخالص، فليس لله ربّ العالمين، هذا يكون للأوثان والأصنام؛ لأنه شرك، وليس بدين، أمّا الدين الخالص فله ربّ العالمين وَحْدَهُ.

قَالَ: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾<sup>(٢)</sup>، اتخذوا من دون الله أولياء يتقربون إليهم، ويعبدونهم، ويتوجهون إليهم، ويدعونهم من دون الله، لاحظوا ماذا يريدون، ماذا يقولون: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾<sup>(٣)</sup>، **سُبْحَانَ اللَّهِ:** يقربونا إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** زلفى، قربة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يتزلفون إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، يتقربون إليه بأي شيء؟ قَالَ: بعبادة هؤلاء من دون له، **سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى** علوا كبيرا، قَالَ **سُبْحَانَهُ:** ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾<sup>(٤)</sup>، هم يختلفون في هذا فالله

(١) [سورة الزمر: آية ٣].

(٢) [سورة الزمر: آية ٣].

(٣) [سورة الزمر: آية ٣].

(٤) [سورة الزمر: آية ٣].

عَزَّجَلَّ سيحكم بينهم، هذا ليس توحيداً، بل شرك وكفر بالله رب العالمين، أن تعبد أحداً وتتنقرب إليه لكي يقربك إلى الله، هذا شرك وكفر، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سيحكم بينكم يوم القيامة، سيحكم بَيْنَ مَنْ وَمَنْ؟ يحكم بين كل مختلفين.

وَلِذَلِكَ؛ ماذا قَالَ اللهُ تَعَالَى في الآية الأخرى؟ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾ (١)، طيب الخصومة والمخاصمة واقعة لا محالة يوم القيامة، يقول شيخنا **رَحْمَةُ اللهِ فِي** شرح النونية، يقول: (ولذلك يفرح المؤمن)، لماذا؟! قَالَ بوقوع المخاصمة يوم القيامة؟ لأن النَّصْرَ والغلبة لأهل التوحيد، ليست لأهل الشرك، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٢)، إن الله لا يهدي، أي لا يوفقه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لسلوك الطَّرِيقِ، ولا يهديه أيضاً للجنة.

بل هذا قد أضله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى علم، كَفَّار: كثير الكفر مَنْ هو؟ هو الَّذِي يتخذ من دون الله أولياء، ويتقرب بهم إلى الله ويعبدون من دون الله، لكي يقربوه إلى الله زلفى عَلَى حد زعمهم، أمَّا دليل الشفاعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٣)، يعبدون ما لا يضرهم، من شجر أو حجر أو أموات أو أولياء أو غيرهم حَتَّى من الأنبياء، أو الملائكة لا يملكون نفعاً ولا ضرراً لِأَحَدٍ.

فالنفع والضرر بيد الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) **أَوْ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) ﴿٤﴾.

(١) [سورة الزمر: آية ٣١].

(٢) [سورة الزمر: آية ٣].

(٣) [سورة يونس: آية ١٨].

(٤) [سورة الأنعام: آية ١٨].

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾  
 يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾<sup>(١)</sup>، طيب هم الآن يعبدون ما لا يملك النفع ولا الضر، ثم بعد ذلك يَقُولُونَ: هؤلاء شفعائنا عند الله، سيشفعون لنا عند الله، ينطبق عَلَى الكفار الذين يعبدون الأصنام والأوثان، وينطبق على الَّذِينَ يعبدون القبور وأصحاب القبور، كَذَلِكَ؛ أَيضًا ينطبق عَلَى الَّذِينَ يعبدون آل البيت، فيظنون أن آل البيت يشفعون لهم عند الله **عَزَّجَلَّ**، يعبدونهم، يصرفون العبادة إليهم من دون الله سُبْحَانَهُ.

**ويقولون:** حب علي طاعة لا تضر معها معصية، ولو عبد الأصنام من دون الله، وبغض علي أو بغض آل البيت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** جميعًا، بغضه معصية، لا تنفع معها طاعة لله رب العالمين؛ فعبدوا الأولياء أو عبدوا أهل البيت من دون الله **عَزَّجَلَّ**، كَذَا يقال مثل ذلك فيمن يعبد بعض الأولياء، كعبد القادر الجيلاني، هَذَا إمامٌ جليل من الصالحين من الحَنَابِلَةِ، تواترت كراماته كثيرًا من أهل العراق **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

**يقول ابنُ القيم:** تواترت كرامته كثيرًا **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فبعض الناس صار يدعو، ويتوسل به ويصرف له شيئًا من العِبَادَةِ، وخاصةً من المتصوفة والقبوريين، ووقع عند بعض الناس، وعند المتصوفة أَيضًا، مَنْ يصرف شيئًا من العبادة للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويدعوه من دون الله، مثل البُوصيري في برده المشهورة، قال:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنَ الْوُدِّ بِهِ  
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي  
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا  
 سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ  
 فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ  
 وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

(١) [سورة يونس: آية ١٠٧].

هَذَا شَرِكُ أَكْبَرَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، يَقُولُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا شَرَحْنَا هَذَا الْبَيْتَ، يَقُولُ مَاذَا أَبْقَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ؟ مَاذَا بَقِيَ اللهُ؟ إِذَا كَانَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَلِكٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا هُوَ مَلِكُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِذَا؟ هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ، نَسَأَلُ اللهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَبَعْضُ أَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ قَامَ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْضَ الْآيَاتِ، الَّتِي يَرَى أَنْ لَيْسَ فِيهَا غُلُوٌّ وَلَا شَرِكٌ، وَبَدَأَ يَنْشُدُهَا وَيَلْحَنُهَا لِلنَّاسِ، وَيَقُولُ: فِيهَا عَاطِفَةٌ، وَفِيهَا شُعُورٌ جَمِيلٌ وَغَيْرَ ذَلِكَ عَلَى حَدِّ زَعْمِهِ، بَلْ فِيهَا الشَّرِكُ الْأَكْبَرُ الصَّرِيحُ، وَلَا كِرَامَةَ، نَسَأَلُ اللهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَنَسَأَلُ اللهُ أَنْ يَحْيِيَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَنْ يَتُوفَانَا عَلَيْهِ.

**يَقُولُ:** ”وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ“، الشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةُ مَنْفِيَةِ نَفَاها اللهُ سُبْحَانَهُ.

### ❁ وشفاعة مثبتة.

الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَةُ مَا كَانَتْ تَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَهَذِهِ شَفَاعَةُ مَنْفِيَةٍ،

نَفَاها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَا الدَّلِيلُ عَلَى نَفِيها؟ الدَّلِيلُ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١).

**يقول قائل:** نفهم من ذلك أن الشَّفَاعَةَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، أَنْ تَطْلُبَهَا مِنْهُ مِثْلَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا.

**أقول:** يَا عَبْدَ اللهِ اشْفَعْ لِي عِنْدَ خَالِدٍ، بَأَنْ يُعْطِيَنِي شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي عِنْدَهُ،

(١) [سورة البقرة: آية ٢٥٤].

وما أشبه ذلك، اشفع لي يعني توسط لي، الجواب: هذا جائز وقد يكون مشروعاً وخاصة إذا كان في الخير، الدليل: ما رواه الشيخان عن أبي بريدة بن أبي موسى عن أبيه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تَوْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**» هذا لفظ البخاري<sup>(١)</sup>، ولفظ مسلم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْفَعُوا فَتَتَّوَجَرُوا، وَلَيَقْضِي اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»**<sup>(٢)</sup>،

والثانية شفاعة مثبتة، وهذه الشفاعة تطلب من الله تعالى، وتكون بعد إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع له، ودليلها قوله تعالى ﴿ **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى** ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقوله تعالى ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾<sup>(٤)</sup>، وهاك دليلاً آخر، ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى** ﴾<sup>(٥)</sup>.

فلا بد من أن يأذن الله تعالى للشافع ويرضى عن المشفوع له، فهل المشفوع له إذا كان مشركاً يدخل في الشفاعة؟ الجواب لا، أمّا إذا كان موحدًا يدخل في الشفاعة، شفاعة من؟ شفاعة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حتّى لو كان المشفوع له مرتكباً لكبيرة من الكبائر، حتّى لو مات مصرّاً على الكبائر، نعم لا يجزئ المسلم على الكبائر ولا على الصغائر أيضاً، وهو مهدد ومتوعد بالعذاب، ولكن مع ذلك

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١٤٣٢) من حديث أبي موسى.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٢٥٢٦).

(٣) [سورة النجم: آية ٢٦].

(٤) [سورة البقرة: آية ٢٥٥].

(٥) [سورة الأنبياء: آية ٢٨].

لو عُدِّبَ الموَحَّدُ العاصي، فإنه يخرج من النار بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، إمَّا أن يخرج بالشفاعة، وإمَّا بفضل رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وَلِذَلِكَ؛ جاء في مصنف عبد الرزاق ومن طريقه الترمذي عن معمر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، ورواه الإمام أحمد من طريق أشعث الداني عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً (١)،

الشاهد من هذا؛ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، يقول الناظم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

كَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكْرُمًا	كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى
كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى	مَنْ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى
فَصَلِّ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ	يَشْفَعُ أَوْلَا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي
كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَّلَاءِ	مَنْ بَعْدَ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى
دَارِ النَّعِيمِ لِأُولِي الْفَلَاحِ	وَتَانِيًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاكِ
قَدْ خُصَّتَابِهِ بِإِلَانِ كُرَانِ	هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ
مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الْإِسْلَامِ	وَتَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ
فَأَدْخَلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ	وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الْأَثَامِ
بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْضِ ذِي الْإِحْسَانِ	أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجَنَانِ
وَكُلِّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي	وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ
جَمِيعٍ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ	وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّيْرَانِ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢) من حديث أنس، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٥٩٨).

فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا      فَحَمًّا فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبِتُونَا  
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ      حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِ

هَذَا مَا يَتَعَلَقُ فِي فَصْلِ الشَّفَاعَةِ فِي كِتَابِ سَلْمِ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَامَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوْتِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَفَّرَ فِيهَا شَرْطَانِ، إِذَنْ اللَّهُ لِلشَّافِعِ وَرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رِضَا اللَّهِ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، إِذَا فَلَنَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْخُلَنَا فِي شَفَاعَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَا أَذْكَرُ أُنِي صَلَّيْتُ مَعَ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ، يَعْنِي الشَّيْخَ ابْنَ عَثِيمِينَ فِي جَمْعَةٍ مِنَ الْجَمْعِ عَلَى الْمَنْبَرِ، إِلَّا وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَحَبَّةَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَأَدْخِلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ، وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِهِ، وَاحْشِرْنَا فِي زَمْرَتِهِ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَدْخُلَنَا فِي شَفَاعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا مَا يَتَعَلَقُ بِالْقَاعِدَةِ الثَّانِيَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى.

**القاعدة الثالثة:** يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظَهَرَ عَلَى أَنْاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ:

فَالْعَرَبُ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ، بَلْ وَالْعَجَمُ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ فِي الْعِبَادَاتِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾<sup>(١)</sup>، فَهَمُ صَرَفُوا شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَاتِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَلَائِكَةَ لَا تَرْضَى بِهَذَا وَلَمْ تَدْعُو لَهُذَا.

**ثانيًا:** مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، مِثْلَ مَنْ؟ النَّصَارَى، يَعْبُدُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمِثْلَ الْيَهُودِ يَعْبُدُونَ عُزَيْرًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفِيهِ

(١) [سورة الزخرف: آية ١٩].

خلاف بين العلماء والصحيح أن عزيزا نبي، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَمَّا لِقَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالصحيح أنه رجلٌ صالح، وَأَمَّا الخضر، الصحيح أنه نبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى مخبراً عن الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>، عن أمر من؟ عن أمر الله عزَّجَلَّ.

والله تَعَالَى يأمر الأنبياء ويوحى إليهم،

ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، نعم هذه تُسَمَّى الأوثان، تُصنع من الشجر أو من الحجر، وإذا كان عَلَى سورة مخلوق كإنسان يُسَمَّى الصنم، ومنهم من يعبد الشَّمْسَ والقمر، مثل عبَاد الكواكب، والذين أرسل الله تَعَالَى إليهم إِبْرَاهِيمَ، الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كانوا يعبدون الكواكب يعبدون الشمس والقمر، فهم قوم وثنيون في العراق،

وقاتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكفار ولم يفرِّق بَيْنَهُمْ، كيف لم يفرق بينهم؟ يَعْني قاتل الَّذِينَ يعبدون الملائكة، وقاتل الَّذِينَ يعبدون الشمس والقمر، وقاتل الَّذِينَ يعبدون الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقاتل الَّذِينَ يعبدون الأوثان، الأشجار والأحجار والأصنام، كل هؤلاء مشركون بدون استثناء.

**الدليل:** ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَلَّةٌ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، ما معنى فتنة هنا؟ ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، الفتنة هنا هي الشُّرْكُ، وَلِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٣)</sup>، يَعْني الشُّرْكُ أكبر من القتل: ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَلَّةٌ لِلَّهِ﴾، يَعْني خالصاً لله، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) [سورة الكهف: آية ٨٢].

(٢) [سورة الأنفال: آية ٣٩].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢١٧].

(٤) [سورة الزمر: آية ٣].

**قال:** ودليل النهي عن عبادة الشمس والقمر: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) (١)، إذا نهى عن عبادة الشمس والقمر، ولذلك روى البخاري في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢) وجاء عند أبي جعفر الطحاوي في (مشكل الآثار)، قوله صلى الله عليه وسلم: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، ثَوْرَانِ مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وإسناده ضعيف، فيه يزيد الرقاشي والراوي عنه درست بن زياد، وكلاهما ضعيف (٣).

**ولكن ما رأيكم؟ هل هذا تعذيب لهما؟ الجواب: لا، إذا لماذا؟**

**قال أهل العلم:** ذلُّ لعابديها من دون الله، ذلٌّ يعنِّي يا من عبدت الشمس والقمر، الشمس والقمر لم يدفعوا عن نفسيهما الضر، فكيف تعبدتهما، فهذا أشد تعذيباً لهما لمن عبدهما، أقصد لمن عبدهما من دون الله عزَّ وجلَّ، ولكن لاحظ ما قال ذلك في الليل والنهار، لأنهما لم يعبدا فهل هذا صواب؟

**الجواب:** نعم، ما عبد الليل والنهار، لكن هناك من يقال لهم الدهريون، يعزون كل شيء للطبيعة للدهر، ﴿وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٤) فكذبهم الله سبحانه وتعالى، فإن كنتم لا تعبدون إلا الله، إذا لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، والسجود من أنواع العبادة.

(١) [سورة فصلت: آية ٣٧].

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر (٣٢٠٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٨٣)، وابن بطة (٧٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤).

(٤) [سورة الجاثية: آية ٢٤].

وأعجبني ما قاله أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: وَمَعْنَى الْعُقْرِ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَهُمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لَمْ يُرِدْ بِهِ الْعُقْرَ لَهُمَا عُقُوبَةً لَهُمَا إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِيهِمَا إِذْ كَانَا فِي الدُّنْيَا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَلَى مَا ذَكَرَهُمَا بِهِ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (١) فَأَخْبَرَ أَنَّ عَذَابَهُ إِنَّمَا يَحِقُّ عَلَى غَيْرٍ مَنْ يَسْجُدُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا فِي الدُّنْيَا يَسْبَحَانِ فِي الْفَلَكَ الَّذِي كَانَا يَسْبَحَانِ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ (٢). الْآيَةُ، ثُمَّ أَعَادَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُوَكَّلِينَ بِالنَّارِ كَغَيْرِهِمَا مِنْ مَلَائِكَتِهِ الْمُوَكَّلِينَ بِهَا فَفَطَعَهُمَا بِذَلِكَ عَمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ السَّبَاحَةِ فَعَادَا بِانْقِطَاعِهِمَا عَنْ ذَلِكَ كَالزَّمِينِ بِالْعُقْرِ فَقِيلَ لَهُمَا: عَقِيرَانِ عَلَى اسْتِعَارَةِ هَذَا الْإِسْمِ لَهُمَا لَا عَلَى حَقِيقَةِ حُلُولِ عَقْرِ بِهِمَا وَاللَّهُ نَسَّأَلُهُ التَّوْفِيقَ . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

**وذات مرة قال لي أحد الجاهلين هدانا الله وإياه:** لو رأيت رجلا يسجد للصنم من دون الله، فلا أقول: أنه مشرك! فقلت له ماذا تقول؟ قال: أقول: مسلم موحد عاصي، فقلت خطأ، هذا خطأ بإجماع السلف، بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح بإجماع أهل السنة والجماعة، قال لا، فقلت يعلم أن الذي أمامه صنم.

**قال:** هو الآن يعلم أنه صنم، ويسجد له من دون الله نسأل الله العافية والسلامة، ومع ذلك لا أقول: بأنه مشرك، لأنني لم أطلع على قلبه هل استحل ذلك أو لم يستحل!!

(١) [سورة الحج: آية ١٨].

(٢) [سورة يس: آية ٤٠].

فقلت أعوذ بالله، هل هذا إلا ما جاء القرآن الكريم بنقضه، واجتثاث شجرة الشُّرك من أصلها، اللهم نعم جاء القرآن والسُّنة، بالدعوة إلى التوحيد واجتثاث الشُّرك من جذوره وأصوله.

**قَالَ:** ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١)،

ما أمركم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بأن تتخذوا الملائكة، أو النبيين أرباباً من دون الله، يعني يُصرف لهم شيء من العبادة، أو تعتقد فيهم شيئاً من التصريف والتدبير، كلا بل كل ذلك لله رب العالمين **سُبْحَانَهُ**.

**ودليل الأنبياء:** ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ (٢)، أنزهك عن أن أقول أو اعتقد هذا الشُّرك،

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعلم، فهو يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، إذاً لماذا يسأل عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يوم القيامة؟

من أجل إقامة الحجّة على من عبد عيسى من دون الله، ولذلك؛ قَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٣)، فبعضهم يقول المسيح ابن الله،

**ومنهم من يقول المسيح:** هو الله، ومنهم من يقول: الله ثالث ثلاثة، فصرخوا له العبادة من دون الله تعالى،

(١) [سورة آل عمران: آية ٨٠].

(٢) [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٣) [سورة المائدة: آية ١٧].

**ومنهم من يقول:** اللاهوت حلّ في الناسوت، فالله حلّ في عيسى، تَعَالَى اللهُ عَزَّجَلَّ عن شركهم علواً كبيراً، قَالَ عيسى عليه الصلاة والسلام: سُبْحَانَكَ أَنْزَهَكَ، سُبْحَانَكَ، يسميها العلماء اسم مصدر منصوبة عَلَى المصدرية، سُبْحَانَكَ يَعْنِي أَسْبَحُكَ سُبْحَانَكَ، أَنْزَهَكَ عن كل نقص وعيب: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ (١)، وَهَذَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ، وَهُوَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَأَنْ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَةِ الْبَشَرِ لِي، هَذَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ، فَأَنَا لَنْ أَقُولَهُ بَلْ أَنْزَهَكَ عَنْ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ، كَذَلِكَ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ يَا رَبِّي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا لَمْ يَكُنْ وَمَا سَيَكُونُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (٢)، نَعَمْ اللَّهُ عَزَّجَلَّ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

يعلم ما في قلوبنا ويعلم ما في أعيننا: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٣)، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، فِيهِ إِثْبَاتُ صِفَةِ النَّفْسِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، هَلِ النَّفْسُ هِيَ الذَّاتُ أَوْ النَّفْسُ غَيْرُ الذَّاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٤)، الرَّاجِحُ أَنَّهُمَا بِمَعْنَيْنِ.

الذات غير النفس، وكلها تُثَبَّتُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ سُبْحَانَهُ،

قال الحكمي رحمه الله :

وكل ما له من الصفات  
أثبتها في محكم الآيات  
أوضح فيما قاله الرسول  
فحقه التسليم والقبول

(١) [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٢) [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٣) [سورة غافر: آية ١٩].

(٤) [سورة آل عمران: آية ٢٨].

نمرها صريحة كما أتت  
من غير تحريفٍ ولا تعطيل  
بل قولنا قول أئمة الهدى  
مع اعتقادنا لما له اقتضت  
وغير تكييفٍ ولا تمثيل  
طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

فتثبت صفات ربنا **عَزَّوَجَلَّ**، التي جاءت في الكتاب أو في **السُّنَّةِ عَلَيَّ** الوجه اللائق به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١) جمع غيب، وهو كل ما غاب عنا، والغيب قد يكون غيباً نسبياً، وقد يكون غيباً كلياً، يوم القيامة غيب كلي أو نسبي؟ غيب كلي، الساعة غيب كلي لا يعلمه أحد، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل، متى يموت الإنسان؟ غيب كلي لا يعلمه الإنسان. أمّا بالنسبة لمن كان مثلاً في الجامع المجاور لنا، هذا غيب بالنسبة لنا غيب نسبي، نحن لا نعلم عنهم لكن يوجد من يعلم عنهم، وهو من كان معهم، نحن بالنسبة لهم غيب نسبي، لا يعلمون عنا شيئاً،

نتلقى درساً الآن في العقيدة في القواعد الأربع، لشيخ الإسلام في يوم الخميس وما أشبه ذلك: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (٢)، طيب بالنسبة لعذاب البرزخ ونعيمه، عذاب القبر ونعيمه، غيب كلي بالنسبة لنا أو نسبي؟ كلي لا يعلمه أحد من الناس، لا يعلمه أحد لا يعلمه إلا رب العالمين **عَزَّوَجَلَّ**، والذي يعذب يعلم بعذابه، وقل مثل ذلك في نعيم البرزخ،

قَالَ ودليل الصالحين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ (٣)،

(١) [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٢) [سورة المائدة: آية ١١٦].

(٣) [سورة الإسراء: آية ٥٧].

يَعْنِي أَتَمَّ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ تَدْعُونَ مَنْ؟ تَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُونَ الْأَنْبِيَاءَ، تَدْعُونَ الْمُرْسَلِينَ، تَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، يَقُولُ: تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، هُوَ لَا الْمُدْعَوُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتَّعُونَ إِلَيَّ رِبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ يَعْني الْقُرْبَةَ إِلَيَّ اللَّهُ، كُلُّ مَا يَقْرَبُ اللَّهُ مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ؟

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، نَعَمْ هَكَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، أَنْ نَعِيشَ بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ، لَا تَغْلِبْ جَانِبَ الْخَوْفِ دَائِمًا، فَإِنَّكَ رُبَّمَا خَرَجْتَ إِلَيَّ الْيَأْسَ وَالْقَنُوطَ، وَلَا تَغْلِبْ جَانِبَ الرَّجَاءِ دَائِمًا فَرُبَّمَا رَكَنْتَ إِلَيَّ الرَّجَاءَ فَتَجَرَأْتَ عَلَيَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ أَنَّهُ قَالَ: «وَعَزَّيْتُ لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ»، فَجَاءَ مَرَسَلًا عَنِ الْحَسَنِ، وَمُسْنَدًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا، وَالْمُرْسَلُ أَثْبَتَ<sup>(١)</sup>، أَحْرَصَ عَلَيَّ أَنْ تَكُونَ خَائِفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، تَعْبُدُهُ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ، كُلُّ هَذِهِ لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا وَانظُرِ الْأَصْلَحَ إِلَيَّ قَلْبِكَ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قَالَ وَدَلِيلَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّدَنَ وَالْعِزَّىٰ﴾<sup>(٣)</sup> وَمَنْوَةَ  
الثَّلَاثَةَ الْآخَرَىٰ<sup>(٤)</sup>،

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٧ - رواية نعيم بن حماد)، والبخاري (٨٠٢٨) عن الحسن مرسلًا، وأخرجه ابن حبان (٦٤٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الألباني في «الصحيح» (٧٤٢).

(٢) [سورة الإسراء: آية ٥٧].

(٣) [سورة النجم: آية ١٩-٢٠].

وهذه الأصنام مصنوعة من الأشجار أو من الأحجار، وكانت تُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وحديث أبي وقْدِ الليثي، قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (خرجنا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حنين)، يَعْنِي بعد فتح مكة خرجوا إِلَى حنين لفتح الطائف، ونحن حدثاء عهد بكفر يَعْنِي أسلموا من قريب، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، يعكفون عندها يَعْنِي يلازمونها، وينوطون بها أسلحتهم، يعلقون بها الأسلحة يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، يَعْنِي اجعل لنا ذات أنواط يَعْنِي شجرة نعلق بها الأسلحة، وتبرك بها هذا المعنى كما للمشركين سدرة يتعلقون بها ويتبركون بها. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، السنن» أو «إنها السنن، قلت: وَالَّذِي نفسي بيده كما قَالَ قوم موسى لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (١) (٢)،

وبيِّن المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ أَنْ من العرب من يعبد الأشجار والأحجار من دون الله، يقول الناظم الشيخ حافظ حكيمي رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشَّرْكَ      من غير ما تردد أو شك  
ما يقصد الجهال من تعظيم ما      لم يأذن الله بأن يعظما  
كمن يلد ببقعة أو حجر      أو قبر ميت أو ببعض الشجر  
متخذًا لذلك المكان      عيدًا كفعل عابد الأوثان  
ثُمَّ الزِيَارَةَ عَلَى أَقْسَامٍ      ثلاثة يا أمة الإسلام

(١) [سورة الأعراف: آية ١٣٨].

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركين سنن من كان قبلكم (٢١٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠١).

في نفسه تذكرة بالآخرة»  
 «بالعفو والصفح عن الزلات»  
 «ولم يقل هجرًا كقول السفهاء»  
 «في السنة المثبتة الصحيحة»  
 «بهم إلیٰ الرحمن جَلَّ وَعَالًا»  
 «بعيدة عن هدي ذي الرسالة»  
 «أشرك بالله العظيم وجحد»  
 «صرفًا ولا عدلًا فيعفو عنه»  
 «إلا اتخاذ الند للرحمن»

أَوْ ابْتَنَىٰ عَلَى الضَّرِيحِ مَسْحِدًا  
 لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى  
 فَاعِلُهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ  
 وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشُّبْرِ  
 بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبْرُ  
 فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ  
 مَا قَدْ نَهَىٰ عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا  
 وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا  
 لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ  
 وَكَمْ لَوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا  
 وَافْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ

فإن نوى الزائر فيما أضمره  
 ثمَّ الدُّعَاءُ له وللأموات  
 ولم يكن شد الرحال نحوها  
 فتلك سنة أتت صريحة  
 أو قصد الدعاء والتوسلا  
 فبدعة محدثة ضلالة  
 وإن دعا المقبور نفسه فقد  
 لن يقبل الله تَعَالَىٰ منه  
 إذ كل ذنب موشك الغفران

ويقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجًا أَوْ قَدَا  
 فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارًا  
 كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنُ  
 بَلْ قَدْ نَهَىٰ عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ  
 وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمُرُ  
 وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ عَنِ إِطْرَائِهِ  
 فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا  
 فَانظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا  
 بِالشَّيْءِ وَالْأَجْرِ وَالْأَحْجَارِ  
 وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا  
 وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ

بَلْ نَحَرُوا فِي سَوَاحِهَا النَّحَائِرِ      فَعَلَ أُولِي التَّسْيِبِ وَالْبَحَائِرِ  
وَأَلْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ      وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ  
قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ      بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاحِهِ  
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ      بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ  
فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ      وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ  
فَيَا شَدِيدَ الطُّوْلِ وَالْإِنْعَامِ      إِلَيْكَ نَشْكُو مُحْنَةَ الْإِسْلَامِ

**القاعدة الرابعة والأخيرة:** يقول رَحِمَهُ اللهُ: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، يقصد المشركين في زمان شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) رَحِمَهُ اللهُ، وأيضًا حتّى في زماننا هذا، أغلظ شركًا من شرك الأولين، الذين كانوا في عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبل عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟

**الجواب قال:** لأن الأولين يشركون في الرخاء، يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار والقبور وغيرها، ويخلصون في الشدة، إذا جاءهم كرب أو شدة؛ فإنهم يخلصون لله عَزَّوَجَلَّ لا يدعون إلا الله تعالى، أمّا مشركو زماننا، فإنهم يشركون في الرخاء والشدة أعادنا الله وإيّاكم، من الشرك كله صغيره وكبيره.

**الدليل قوله سُبْحَانَهُ:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾<sup>(١)</sup>، الفلك اسم جمع، يعنّي السفن: ليس له واحد من لفظه ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>، يعنّي أصابتهم مصيبة، أصابتهم رياح شديدة، أو كادت الرياح أن تغرقهم تلاطمت بهم الأمواج، فإنهم يخلصون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الدين لا يدعون إلا الله، لماذا؟

(١) [سورة العنكبوت: آية ٦٥].

(٢) [سورة العنكبوت: آية ٦٥].

أنهم يعلمون أن هذه الأشجار والأحجار والأصنام والأوثان، وكل مخلوق لا يملك لهم لا نفعاً ولا ضراً، مَنْ المالك للنفع والضرر؟ إنه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿فَلَمَّا بَحَثْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦٥) (١)، لَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ رَجَعُوا إِلَىٰ شُرَكَاهُمْ، إِذَا اشْرَكُوا فِي الرِّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشَّدَةِ فَاحْلَصُوا فِيهَا.

**أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ**؛ فإنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة، أما في الرخاء هُفْذًا واضح يشركون، وأما في الشدة: فإنه إذا نزل بهم كرب أو وقعت بهم كارثة أو مصيبة؛ فإنهم يستغيثون ويستنجدون ويدعون المخلوق، تجد منهم من يدعو علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من دون الله تعالى، ومنهم من يدعو الجيلاني، ومنهم من يدعو أحمد البدوي، وأحمد البدوي هُذَا رجل لم يُعرف عنه صلاح ولا استقامة، لا يُعرف عنه إلا أنه رجل تارك للصلاة، وعُرف عنه أنه بال في المسجد أمام الناس! ومع ذلك يعدونه من الأولياء، فبعض الناس يدعونه من دون الله، يقولون: يا بدوي رد علينا ضالتنا من الغنم ومن غيرها، نسأل الله العافية والسلامة، في الشدة وفي الرخاء يشركون.

هذه القواعد أقول تحتاج إلى إسهابٍ أكثر، ولكن أرجو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أن يكون ما ذكر فيه خير كثير لي ولكم في الدنيا والآخرة في العلم والعمل، إن ربي سميع الدعاء،

اسأل الله **تَعَالَى** لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، اللهم أعز دينك، وأظهر أوليائك، وأخز أعدائك في عافيةٍ لأمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**،  
والله أعلم، **وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.**

(١) [سورة العنكبوت: آية ٦٥].

## الأسئلة

📖 سؤال أحيانا قبل قليل، يقول: ما الفرق بين النبي والرسول؟

على أقوال لأهل العلم عليهم رحمة الله، من العلماء من قال النبي هو الرسول والرسول هو النبي، وهذا قول ضعيف؛ لأنه قرن بينهما، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْتَمَسْنَا الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾<sup>(١)</sup>، والعطف يقتضي المغايرة عند أهل العلم، ومن العلماء من قال: النبي هو من أوحى إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهذا قول فيه نظر. لأن الله تعالى أخبر بأنه أرسل النبي أيضًا، كما أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

**ومن العلماء؛** من قال: إن النبي من جاء لإحياء شريعة نبي قبله، وأمّا الرسول فقد جاء برسالة جديدة، قالوا: هذا التعريف يستقيم دائمًا، إلا في حالة واحدة، وهي حال آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه نبي كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»، كما في حديث أبي أمامة، قال: «نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ» رواه أحمد وابن حبان<sup>(٣)</sup>، ولكنّه لم يُرسل أو لم يأت لإحياء شريعة نبي قبل، وذلك لأن ذريته على التوحيد والإسلام،

**قالوا:** يُستثنى من هذه القاعدة آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو نبي، ما أتى بشريعة

(١) [سورة الحج: آية ٥٢].

(٢) [سورة الزخرف: آية ٦].

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦) من حديث أبي ذر، وقواه الألباني في «الصححة» (٢٦٦٨).

جديدة ؛ لأنه نزل مسلماً، موحدًا مؤمنًا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وكذلك ذريته كانوا مؤمنين موحدين مسلمين، ليس فيهم كافر ولا مشرك انتبهوا لهذا، وما ظهر الشرك إلا في قوم نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

بقية الأنبياء أو الرسل المذكورون في القرآن الكريم، هم أنبياء رسل، يَعْنِي الخمسة والعشرين هم أنبياء رسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَعْنِي أتى لإحياء شريعة نبي قبله، وأتى بشريعة جديدة ربما نُسخ شيء من الشريعة التي قبلها، وخصص بعضها كما جاء عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لإحياء شريعة موسى.

ثم بعد ذلك نسخ كثيرًا منها، وأتى بأحكام جديدة، ثم جاء نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأحى شريعة إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومن قبله من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكنهُ أَيْضًا أتى بشريعة جديدة، مثلًا كحل الغنائم، ومشروعية التيمم بشروطه، وما أشبه ذلك، هَذَا من الشريعة الجديدة والله أعلم وصى الله على نبينا مُحَمَّدٍ وآله وصحبه،

ولابد من التنويه إلى أن عقيدة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة لا تختلف في شيء أبداً، وأما في الأحكام فقد تختلف شرائعهم، كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَفُونَ ﴿٤٨﴾ (١).

(١) [سورة المائدة: آية ٤٨].

**الشيخ:** القبور بالنسبة للبشر، عذاب القبر بالنسبة للبشر غيب كلي لا يعلمونه.

**الطالب:** ...

**الشيخ:** أحسنت، يقول: بالنسبة للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أطلعهُ اللهُ ليس على عذاب القبر فقط، بل أطلعهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى عَلَى عذاب بعض أهل النَّار أَيضًا، فالله **عَزَّجَلَّ** يُطلع من يشاء، لَكِنْ هل يجوز الإنسان يقول الآن أنا أطلعني اللهُ تَعَالَى عَلَى عذاب القبر بعد النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟

**الجواب:** لا، أو أن يقول: أطلعني اللهُ تَعَالَى عَلَى عذاب أهل النَّار؟

**الجواب:** لا يجوز هَذَا، وَأَمَّا النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فما علمه إِلَّا بوحي من اللهُ **عَزَّجَلَّ**، فَإِنْ شئت تقول: نسبي بهذا الاعتبار، تقول: نسبي، بالنسبة لنا نحن لا نعلمه أبداً، وَأَمَّا بالنسبة للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقد كان يعلم بتعليم اللهُ إياه.

**الجواب:** لا بأس بذلك، واضح هَذَا أو لا؟ أَمَّا الآن لا يوجد أحد يعلم، هل فلان يعذب أو ينعم في القبر، ممن لم يبين اللهُ تَعَالَى حاله أو بينه النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

**الطالب:** ....

**الشيخ:** أنت كأنك تشير أخي الكريم إِلَى أركان الخطبة يَعْنِي خطبة الجمعة، يَعْنِي الحمد والتشهد الوصية بالتقوى، الصلاة عَلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالذات، هَذِهِ فيها خلاف بين العلماء، الصواب؛ أن خطبة الجمعة إذا اشتملت عَلَى الموعدة من كتاب اللهُ وسنة النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإنها تكون كافية، وَلَكِنْ لَا بُدَّ من خطبتين فلا تجزئ خطبة واحدة في الجمعة، واضح هَذَا؟

## شرح كتاب القواعد الأربع

أمَّا الوصية بتقوى الله بحد ذاتها أو الإتيان بتشهد فيها، وأنه شرطٌ لصحة  
الخطبة!

فهذه فيه نظر.

والصحيح عدم اشتراط ذلك ،

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمت مراجعته بفضل الله تعالى

د/ سامي بن صالح الواكد



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

TharwatSultan@yahoo.com

للتواصل: 00201019530152